

المركز أمجاد للمخطوطات

مجددنا في تراثنا

خدمات

بحثية



تصوير

مخطوطات



تم تصوير المقال عن طريق
مركز أمجاد للمخطوطات ورعاية الباحثين

العنوان: إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تحقيق المخطوطات التاريخية

المؤلف: عادل سالم العبد الجادر

جهة النشر : مجلة عالم الفكر يناير - ٢٠٠٨

عدد الأوراق: من صفحة ٦٧ - ٨٦

ملاحظات:

KSA: (00966) 0566489234

EGY: (002) 01001133781

www.amgadcenter.com

<https://www.facebook.com/amgadcenter>

<https://twitter.com/amgadcenter>

<http://www.youtube.com/user/amgadcenter>

info@amgadcenter.com

إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تدقيق المخطوطات التاريخية (المخطوطات الإسماعيلية اليمنية نموذجاً)

د. عادل سالم العبد الجادر (*)

مقدمة

أعازني البروفيسور ويلفرد ماديلونج Wilferd Madelung^(١) نسخة ميكروفيلم من مخطوطة وأوصاني بتحقيقها. وما إن تسلمت نسخة الميكروفيلم، حتى ذهب عني التساؤل الذي راودني عن سبب عدم قيام ماديلونج بهذا العمل، وهو الباحث المعروف بتمكنه من اللغة العربية وجهده في التحقيق؛ فقد وجدت أن المخطوطة نصف منقوطة، ومكتوبة بخط صعب القراءة^(٢).

كتبت إلى ماديلونج بموافقتي على اقتراحه، ولكن دون أن أسمى ذلك تحقيقاً، بل قراءة لمخطوط كتاب البستي «من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم»^(٣)، لعلمي أنّ علم تحقيق المخطوطات بحر لم أصبح أبعد من شطآنه. كان الهدف من نشر تلك المخطوطة توفيرها بين يدي القارئ المتخصص في التاريخ والدراسات الإسماعيلية والفلسفة الإسلامية وعلم الكلام. ونشرت المخطوطة ضمن كتابي «الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار»، الذي حاز جائزة الدولة التشجيعية في الكويت لعام ٢٠٠٢م.

كان الكتاب قد قُتل بحثاً على يد المستشرقين، ابتداء من إجناز جولدزيهر Ignaz Goldziher ١٩١٦م ولويس ماسنيون Louis Massignon ١٩٢٢م، مروراً بصموئيل شتين Samuel Stern ١٩٦١م، ثم ويلفرد ماديلونج ١٩٨٥م، وانتهاءً بفرهاد دافترى Farhad Daftary.

(*) رئيس تحرير مجلة التقدم العملي - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت.

١٩٩٢م وبول والكر Paul Walker ١٩٩٣م، إلا أن أحدا منهم لم يحقق المخطوطة أو يترجمها، باستثناء شتيرن الذي حقق عدة أوراق وترجمها إلى اللغة الإنجليزية، من [١٧ إلى ١٩] ^(١)، أما الباقيون فقد استخدموها كمصدر رئيس لبعض دراساتهم. وجزء من تلك المخطوطة موجود في مكتبة الأمبروزيانا Ambrosiana Library في ميلانو بإيطاليا، وللأسف، فإن هذا الجزء قد وقف عند الورقة ١٢٥. وبمزيد من التحري عن الكتاب وجدت أن تاجرا إيطاليا يدعى جيوسبي كابروتتي Giuseppe Caprotti أرسل في ٨ فبراير ١٩٠٦ هذه المخطوطة إلى يوجينيو جريفيني Eugenio Griffini أمين مكتبة الأمبروزيانا. وقد كتب على غلافها بالإيطالية ما ترجمته «ج. كابروتتي من صنعاء إلى إ. جريفيني الأمبروزيانا ميلانو» ^(٢). وقد اقتنى هذا الأخير تلك المخطوطة ووسمها بخاتمه [ex libris]، ثم باعها للمكتبة التي عمل فيها مع مجموعة من المخطوطات العربية الأخرى.

لم تكن الصعوبة تكمن في قراءة مخطوطة الكتاب أو تنقيط ما لم ينقط من الحروف فقط، بل كانت هناك تصحيحات إملائية وأخرى لغوية كثيرة، وربما تعدى الأمر ذلك إلى تصحيح بعض الآيات القرآنية التي ذُكرت خطأ في الكتاب، سواء كان هذا الخطأ سهوا من المؤلف أو الناسخ. أما في تخريج الأحاديث، فلم أغفل مذهب المؤلف الزيدي ولا مشربه الاعتزالي في إنكار أحاديث الآحاد، وإصراره على التنزيه من خلال إنكار التجسيم والتشبيه. وعاشت روح عصر المؤلف في استخدامه كثيرا من المصطلحات الفلسفية السائدة آنذاك، ووضعت لها شروحات في هامش الكتاب.

كانت تلك هي بداية الهاوي الشغوف في الإبحار المتواضع في بحر المخطوطات، قراءة وتدقيقا وتوثيقا.

بيد التحقيق والقراءة والدقيق

استخدم الباحثون المخطوطات مصادر لدراساتهم، فجهدوا واجتهدوا في البحث عنها والاستعانة بها، وأمل البعض منهم أن يعود نشر ما يقع بين أيديهم من مخطوطات ذات أهمية بالنفع على طلبة العلم والمتخصصين، فكثرت نشر المخطوطات العربية، وساعد على ذلك وجود مراكز ومعاهد متخصصة لتلك المخطوطات في العالمين العربي والإسلامي والمكتبات العالمية ^(٣). ويبدو أن كثيرا من الدارسين استهوهم نشر المخطوطات بعد قراءتها، الأمر الذي جعل بعضهم يخوض في علم أوسع من مداركه وإمكاناته. فقراءة المخطوطات ومقارنة النسخ وتوليفها ما هي إلا مرحلة ابتدائية من مراحل التحقيق، تأتي بعدها مرحلة دراسة الرسم الإملائي وتصحيح مفردات لغة الكتابة وإكمال السقط، وشرح ما استعصى فهمه، وتخريج الأحاديث الشريفة، وشرح الغريب وتخريج النصوص المقتبسة وإحالة الروايات إلى رواياتها،

والتعريف بالأعلام والأمكنة والبلدان، وضبط الآيات القرآنية وإحالتها إلى سورها^(٧). ولا يكفي المحقق بذلك، بل يتبع منهج البحث والمقارنة والمقابلة، ونقد ما يجده من زلل أو خطأ وقع فيه المؤلف أو الناسخ. هذا إضافة إلى تأريخ المخطوطة من خلال دراسة الورق والحبر وخط الكتابة، والبحث في ترجمتي المؤلف والناسخ. إن مثل هذا العمل المضني يجعل من تحقيق المخطوطات ميدانا له فرسان ذوو مواصفات خاصة، وذوو إلمام بعلوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، وعلوم القرآن والحديث، والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والمنطق، وربما علوم أخرى، كالكيمياء والفلك والطب. وبهذا يكون المحقق عالما موسوعيا، أو على الأقل عالما بأولويات وأصول التحقيق^(٨).

المخطوطات بين الانتشار والاندثار

من المعروف أنَّ الوراقين والكتّيبين قديما كانوا يستكتبون النساخين لكتابة الكتب الرائجة والمطلوبة، هذا إضافة إلى أنَّ هناك كتب ذات أهمية انتشرت بطريقة النسخ، وذلك لتعميم فائدتها. ومن

هنا يكون للكتاب أكثر من نسخة موزعة ومتفرقة في أكثر من مكان. وفي المقابل، نرى كتباً قد أُلْتُفِتْ أو أحرقت أو أهملت فضاغت ولم يبق منها سوى نقولات في بعض الكتب التي نقدتها أو استندت إليها^(٩). تلك الكتب التي ضاعت أو أُلْتُفِتْ^(١٠) غالبا ما كانت كتباً عن الدين والسياسة، ويرجع السبب في ذلك إلى عدة عوامل:

١ - سياسة الدولة: سعت الدول على مدى العصور الإسلامية إلى حصر أدبيات وتعاليم المجموعات المعارضة للسلطة، وقد ألْقُوا على أتباعها التهم جزافا للحد من خطرهم وتقليص نشاطهم، فأطلقوا عليهم مسميات بغیضة، ووصفوهـم بالمارقة أو الخوارج أو الزنادقة، بقصد الحد من انتشار فكرهم، أو ميل الناس إلى آرائهم^(١١). لقد كانت تهمة الزندقة لصيقة بكل من يخرج أو يثور على الدولة، وكان من السهل عليها أن تتهم رؤوس المعارضة بالخروج عن الدين، ومن ثم تقوم بتأليب العامة عليهم، فلا يرون سوى الاستسلام أو الهرب سبيلا^(١٢)، من أجل ذلك صارت مقالات هؤلاء أو كتبهم لا تنتشر إلا في إطار ضيق ومحدود، وعادة ما كانت تتداول تحت غطاء من السرية والحذر، الأمر الذي أدى إلى ضياعها أو تلفها^(١٣)، أضف إلى ذلك أن مؤلفي مثل تلك الكتب كانوا يؤثرون السلامة، فينسبون كتبهم إلى مؤلفين مجهولين، وعندها يفقد الكتاب قيمته، ولا يجد من يقرأه. وفي المقابل، كانت السلطة كثيرا ما تتسبب بعض المقولات إلى بعض المؤلفين ليسنئ لها اتهامهم، وقد تعمد إلى تزوير جُمل أو مقالات وإضافتها إلى بعض تلك الكتب^(١٤).

٢ - إتلاف المؤلف بعضا من كتبه أو كلها: ويرجع ذلك لأسباب علمية أو سياسية أو اجتماعية أو نفسية. أما السبب العلمي، فيرجع في معظمه إلى تغير فكر المؤلف وتبنيـه رأيا

إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تدقيق المخطوطة التاريخية

مخالفاً أو معارضاً لما كتبه من قبل^(١٥)، ويمثل السبب السياسي عاملاً مهماً يدعو إلى إتلاف المؤلف كتبه أو بعضاً منها، وذلك إما خوفاً من بطش السلطة به، وإما طمعاً للتقرب منها. ولإيثار السلامة له ولأبنائه أو جماعته وعشيرته، يتلف المؤلف كتبه ليتوافق معيشياً مع مجتمعه، ويكون مرضياً عنه ومقبولاً منهم، وإلا عاش معزولاً ملوماً مدحوراً؛ فكثيراً ما يعرض النقد الذاتي المؤلف إلى حرمانه من حياة اجتماعية مستقرة^(١٦). أما العامل النفسي فيتمثل في ردود فعل المؤلف في حالات الانفعال أو الغضب الشديد، فيقوم حينها بإتلاف ما كتب^(١٧).

٣ - صراع الخصوم: يؤدي صراع الفئات المتنازعة دينياً أو طائفيًا أو مذهبياً أو قبلياً إلى إتلاف كتب الضد. ويتضح ذلك في الصراعات التي دارت في العصر العباسي بين أهل السنة والمعتزلة، عندما دارت الدوائر على المعتزلة^(١٨). وعلى أثر التعصب المذهبي أحرقت دار العلم ببغداد عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م^(١٩). وفي مصر أحرقت آلاف الكتب السنّة في عاصمة الدولة الفاطمية انتصاراً للمذهب الإسماعيلي عام ٤٦١هـ/١٠٦٩م، وبعد ذلك بنحو مائة عام، ٥٦٧هـ/١١٦٧م، أحرقت السنّة كتب الإسماعيليين انتصاراً لمذهبهم^(٢٠). ولعل ما حصل من إتلاف لأجزاء من كتاب الإكليل للهمداني من بعض القبائل اليمنية يمثل وجهاً من الصراع القبلي^(٢١).

٤ - الحروب: من نتائج الحروب تدمير المدن ومنشآتها التي تشمل مكتباتها، ولطالما أتلقت الحروب كمّاً هائلاً من الكتب، وأفضل مثل على ذلك هو إحراق الصليبيين دار العلم في طرابلس الشرق عام ٥٣٢هـ/١١٢٨م، حين كان في خزائنها ثلاثة ملايين كتاب. أو كما جرى في الغزو المغولي لبغداد، عندما لم تسلم كتب المكتبة المستنصرية، أو غيرها من دور الكتب، من بطش هولاكو^(٢٢). ويسجل التاريخ ما كان من دور للمساجد ودور العبادة التي كانت ملجأً للناس ومكاناً شبه آمن لحفظ الكتب. وقد اتضح جلياً دور الجامع الأزهر في حفظ الكتب والمخطوطات في أثناء الحملات الصليبية والغزو الاستعماري على مصر^(٢٣).

٥ - الكوارث: وتشمل الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والحرائق وتقشي الأوبئة والأمراض في المدن. فغند الكوارث تهمل الكتب، فتحترق أو تفرق أو تدفن، ولا تجد لها حافظاً أو أميناً^(٢٤).

٦ - عوامل أخرى: وهناك عدة عوامل طبيعية وأخرى بشرية منشؤها الإهمال في حفظ الكتاب وسوء الاستخدام، حيث تتعرض الأوراق للتلف من الحرارة والرطوبة، أو تكون عرضة لآفة الحشرات والقوارض^(٢٥).

إشكالية التعامل مع المخطوطة الفريدة

نستطيع تعريف «المخطوطة الفريدة» بأنها النسخة الوحيدة الموجودة لكتاب ما، بحيث لم يُعثر لهذا الكتاب على نسخة مخطوطة أخرى. وكلما كانت المخطوطة الفريدة بخط المؤلف أو أحد تلاميذه

أو ممن عاصروه قلَّ الشك فيها، وكلما كان موضوعها حيويًا ترسخت قيمتها العلمية، خاصة

عندما يكون مؤلفها من كبار علماء الأمة في عصره. وعندما تقع بين يدي القارئ مخطوطة فريدة كتبت بخط جيد ومقروء فهذا من حسن حظ الباحث، وكلما كانت الحروف منقوطة والكلمات مشكولة، قلَّ الجهد المبذول واعتبر الباحث نفسه ذا حظ عظيم. وفي ضوء قراءتي للمخطوطات اليمينية الفريدة، والتي - باستثناء واحدة منها فقط - لم يُعثر بينها على أي مخطوط بخط المؤلف، نستطيع أن نوضح إشكالية التعامل معها على النحو الآتي:

١ - التنقيط والتشكيل أو الخط السقيم: من الأهمية بمكان أن يقوم الباحث بضبط نص الكتاب بالنقط والتشكيل، فبعض المخطوطات تكون خالية من النقط والتشكيل، ويزداد الأمر سوءاً إذا كانت بخط سقيم. وإن كانت هذه الظاهرة تقل في مخطوطات ما بعد القرن الخامس الهجري. ففي الكتابة المبكرة للمغاربة والأندلسيين، على سبيل المثال، كانت «الفاء» تنقط من أسفل و«القاف» بنقطة واحدة من أعلى، كما كان المشاركة ينقطون «الشين» بثلاث نقط متتالية. وربما تزداد حيرة المحقق من التأكد من رسم بعض الكلمات المتشابهة، خاصة إذا كانت الكلمات تؤدي إلى معانٍ متوافقة. وهذا ما حصل لبول والكر عند قراءته لعنوان مخطوطة البستي «من كشف أسرار الباطنية وغوار مذهبهم»، عندما قرأ كلمة «غوار» على أنها «غوار»^(٢٦). أما صموئيل شتيرن فقد قرأ في المخطوطة نفسها «نحاور» على أنها «نجاوز» وقرأ «قبل» «أقبل»^(٢٧). ولابد للباحث من بذل جهد عظيم أيضاً في العناية بالشكل وضبط الكلمات لإزالة الوهم واللبس، سواء في الأفعال والأفعال المبنية للمجهول (كُتِبَ وكُتِبَ - أَمَرَ وأَمَرَ)، أو في اسم الفاعل واسم المفعول (مُرْسِلٌ ومُرْسَلٌ). كما يجب العناية بقراءة الأسماء التي عادة ما يحذف منها حرف الألف مثل (هرون وسليمن = هارون وسليمان) أو الأرقام، كأن يكتب (ثلث) وهو يقصد (ثلاث)^(٢٨)، أو يحذف الهمزة من آخر الكلمة مثل (هوا وما = هواء وما)^(٢٩)، أو يحذفها من حرف الألف (فان = فان)^(٣٠). وما يزيده الأمر سوءاً هو الخط السقيم، ومرجعه رداءة خط المؤلف أو الناسخ، أو السرعة والعجلة في الكتابة، وهذا يؤدي إلى طمس بعض الحروف وغموض الكلمات، ومن ثم يتعذر فهم الجُمْلِ^(٣١). لذا يكون من الضروري التعامل مع تلك المخطوطات بوعي وحرص ودقة، إلى جانب الحذر من التصحيف والتحريف، ويتأتى ذلك بالتأني في قراءتها وإعادة النظر في النص مراراً وتكراراً^(٣٢).

٢ - لغة العصر واختلاف استعمال المضمرات والاستعانة بالاختصارات: لابد أن ينتبه الباحث عند قراءته المخطوطة إلى العصر الذي كتبت فيه، فعليه العناية بدراسة لغة وتاريخ عصر المؤلف، حيث تكون هناك كثير من المصطلحات قد تغير لفظها أو معناها منذ تلك الفترة وحتى عصرنا هذا، أو ربما أصبحت تدل على شيء مختلف تماماً. فعلى سبيل المثال: ترد كلمة «المصانع» في بعض المخطوطات، والمراد بها «جمع مصنع أو مصنعة، أحباس تصنع أو تحفر لحفظ ماء المطر»^(٣٣)، ولكن مثل هذا اللفظ قد يضلل الباحث الغرَّ ليفهم بأنه مكان

اشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تحقيق المخطوطات التاريخية

الصناعة. أو يأتي ذكر «البحرين» في الكتب التاريخية أو الجغرافية المتقدمة: كما وصفها ياقوت الحموي بأنها «البلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان»^(٢٤)، أو كما يصفها المقدسي في أحسن التقاسيم على أنها الأحساء، فيقول: «الأحساء قسبة هجر وتسمى البحرين»^(٢٥)، فإن هذا الوصف يختلف تماما عما هو عليه واقع الحال لمملكة البحرين حاليا. فعلى الباحث المحقق الرجوع إلى الكتابات التي عاصرت زمن المؤلف، من تلك التي تناولت الموضوع نفسه. كذلك عليه العناية بتمييز الاختصارات، مثل: صلعم = صلى الله عليه وسلم، صلح = صلى الله عليه [وآله]، عس = عليه السلام، رض = رضي الله عنه، قس = قدس الله سره، عج = عجل الله فرجه، التي يوجد منها ومثلها الكثير في المخطوطات الإسلامية. ويبدو أن تلك المختصرات كانت كتابتها بذلك الشكل ضرورية لكثرة تكرارها في النصوص مقابل شحّ الوُزُق وغلاء القراطيس من ناحية^(٢٦)، وضيق وقت الناسخ من ناحية أخرى. إلا أننا لاحظنا في الكثير من المخطوطات المحققة أن محققيه جعلوا هذه المختصرات ضمن النص دون تمييزها بوضعها بين قوسين، وإن كان من الأجدر أن يوضع جدول في مقدمة التحقيق يبين تلك المختصرات ومعانيها.

٣ - الرموز والمعاني الغامضة: نتيجة للقمع الفكري من الدولة، لجأ بعض المؤلفين إلى استخدام الرموز وبعض المعاني الغامضة التي لا يعرفها إلا الخاصة من أتباع المذهب أو الطائفة أو الحزب، مثل استخدام خط المسند الحميري أو أرقام حساب الجُمَّل ذات الدلالة على الحروف الأبجدية، حيث كثر استخدامهما في الرسائل السرية الإسماعيلية وبعض كتبهم^(٢٧). وربما استخدمت الرموز في الكتابة ضمن النص العام للكتاب المخطوط باللغة العربية بهدف ضمان عدم انشقاق بعض الأجنحة الفاعلة في القاعدة الشعبية المؤيدة للفكرة العامة للدولة، ويتجلى ذلك في كتاب «الكشف» لجعفر بن منصور اليمن، وهو باب الأبواب للخليفة والإمام الفاطمي، عندما استخدم الخط الحميري في نقد بعض الصحابة وأعمالهم^(٢٨). أما المعاني الغامضة فتركز في علوم الباطن وعقائد الدعوة الباطنية ومصطلحاتها. ومن الأمثلة على ذلك مناقشة السجستاني^(٢٩) عقائد الإسماعيلية في أصل الخلق والحدود العلوية وشرح معنى «كوني قدر» في كتابه الافتخار^(٣٠)، وكذلك جعفر بن منصور اليمن في كتابه «الرضاع الباطن» عندما يتكلم عن الحدود السفلية للدعوة ويحدد مهام الدعاة^(٣١)، والباحث المتخصص، فالعالم بتلك الرموز من الكتب الشارحة لها، يستطيع تقديم نص الكتاب بصورة أكثر وضوحا من الباحث غير المتخصص. وعلى الرغم من ذلك نرى أن الباحثين المتخصصين يقفون عاجزين عن شرح مثل تلك الرموز التي ترد في بعض الكتب لكونها «سرا من أسرار أولياء الله» التي لا يستطيع تفسيرها - حسب زعمهم - إلا الراسخون في العلم، كالأئمة أو الأبواب ومن

لهم رتبة تأويل الباطن^(١٢)، حيث وردت مثل تلك الرموز في بعض المخطوطات مثل كتاب «الجفر» المنسوب للإمام علي بن أبي طالب^(١٣).

٤ - المؤلف أو مصنف الكتاب: في المخطوطات اليمنية، كما في غيرها، تتشابه بعض عناوين الكتب كما تتشابه بعض أسماء المؤلفين، الأمر الذي يجعل من الضروري على الباحث التحري عن المؤلف وسيرته من كتب التراجم العامة أو المحلية، والتركيز على تاريخ ميلاده ووفاته وأهم أعماله. ويكون من المفيد جدا معرفة آراء المؤلف ومنهجه الفكري ومذهبه الفقهي ومشربه العقيدي. وتأتي الفائدة من هذه المعرفة في صحة نسبة الكتاب إلى الكاتب نفسه، فكما ذكرت آنفا فإنَّ هناك كتبا كثيرة منسوبة إلى غير مؤلفيها. ولا يمكن الاعتماد على اسم الشهرة في تعريف المؤلف، فـ «الطبري» مثلا لقب يطلق على أكثر من عالم كان منشؤه أو سكناه في طبرستان، أما «محمد بن جرير الطبري» فاشتان، وكلاهما اشتغل بالتاريخ، أحدهما سني: وهو المؤرخ الشهير صاحب التاريخ المعروف بتاريخ الرسل والملوك (ت. ٣١٠هـ/٩٢٣م)، والآخر شيعي كتب كتاب «الإمامة» و«مناقب فاطمة» و«الدلائل» (ت. ٤١٢هـ/١٠٢١م تقريبا). و«ابن الأثير» خمسة، ثلاثة منهم إخوة، اثنان من الثلاثة مؤرخان كبيران^(١٤)، وفي المخطوطات اليمنية، خاصة الإسماعيلية منها، يتكرر اسم «أبو حنيفة النعمان»، مما يقود الباحث غير المتخصص للبحث في سيرة الإمام المجتهد أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التيمي (بالولاء)، مؤسس المذهب الحنفي وأحد أقطاب مذاهب أهل السنة الفقهية، إنما المقصود هنا هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون التميمي، وهو أيضا فقيه ومجتهد، إلا أنَّه إسماعيلي المذهب. وقد تضعيع نسبة الكتاب إلى مؤلفه بين المصنف والشارح أو المذهب أو الناسخ، كما حصل لكتاب ابن إسحق (ت. ١٥١هـ/٧٦٨م)^(١٥) في السيرة النبوية والمغازي، عندما جمعه ونسخه ابن هشام (ت. ٢١٣هـ/٨٢٨م)^(١٦)، فأصبح الكتاب منسوباً إليه، ومعروفا باسمه «سيرة ابن هشام»^(١٧). كما قد يُجهل اسم مؤلف كتاب معين نظرا إلى فقدان أو تلف الورقة الأولى من المخطوطة، أو أنَّ المؤلف قد ستر اسمه خوفا وخشية من انتقام الخصوم. وتكثر تلك النوعية من الكتب في مكتبات العالم، ومعظمها من دون شك ذو أهمية في مواضيعه، ومصدر أساسي لكثير من الدراسات والبحوث. وفي أطروحتي للدكتوراه عام ١٩٩٧م، التي كانت بعنوان «Studies in the History and Thought of Ismaili States in Mediaeval Yemen» عرضت الجزء الخاص عن الإسماعيلية من كتاب «مختصر في عقائد الثلاث والسبعين فرقة» لأبي محمد اليمني كملحق لهذه الأطروحة. ولم أتعرف إلى أبي محمد هذا، على الرغم من مرور عشرة أعوام من البحث في الكتب والمخطوطات اليمنية. كما لم يتعرف إليه غيري من الباحثين المهتمين بالملل والنحل، ومنهم من حقق كتاب أبي محمد بكامله^(١٨)، إلا أنَّ الأمل يحدونا على التعرف إليه، ربما من خلال كتابات أخرى له.

٥ - عنوان الكتاب وموضوعه: ومثلما احتاج البحث عن المؤلف إلى تدقيق وتمحيص وتعريف، فإنّ عنوان الكتاب وموضوعه يحتاجان إلى مثل ذلك التعريف. فالبحث التاريخي يثبت تشابه عناوين الكتب وموضوعاتها، ونستدل على ذلك بموضوع «التحقيق في الإكفار والتفسيق» وهو عنوان لثلاثة كتب مختلفة. لقد ألف أبو القاسم البستي كتابه «البحث عن أدلة التكفير والتفسيق»^(٩٩)، وألف الإمام الزيدي يحيى بن حمزة (ت. ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كتابا في الموضوع نفسه عنوانه «التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسيق»^(١٠٠)، أما أحمد بن يحيى المرتضى (ت. ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) فألف «التحقيق في الإكفار والتفسيق»^(١٠١)، والباحث المحقق هو الذي لا يقع ضحية التشابه في العنوان والموضوع، ولا ينسب مقالة أو رأي واحد من هؤلاء إلى آخر. حدث ما يشبه ذلك فعلا عندما توهم أحد المؤلفين فخلط بين كتابين هما: «دعائم الإسلام» و«تأويل دعائم الإسلام»^(١٠٢) للقاضي النعمان بن محمد التميمي. والكتابان مختلفان تماما؛ إذ إنّ موضوع الكتاب الأول في الفقه الجعفري ويتناول علم الظاهر، أما الكتاب الآخر ففي العقائد الإسماعيلية على أساس علم الباطن. ولم يكن البستي هو الوحيد الذي خلط بين عنواني هذين الكتابين، إذ نرى باحثا معاصرا من غير المتخصصين بالدراسات الإسماعيلية يقوم بقراءة ونشر كتاب «تأويل دعائم الإسلام» ويوسمه بعنوان «دعائم الإسلام» ويدعي تحقيقه^(١٠٣)، وأعتقد أنّه لا يعلم أنّ كتاب «دعائم الإسلام» قد حققه أصف علي أصغر فيضي عام ١٩٥١م وطبع عدة طبعات، كان آخرها طبعة دار الأضواء - بيروت عام ١٩٩١م. أما كتاب «تأويل دعائم الإسلام» فقد حققه محمد حسن الأعظمي ونشرته دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩م. وربما ينشر كتاب واحد بعنوانين مختلفين، فقد نشر عارف تامر في عام ١٩٨١م كتاب «شجرة اليقين» للداعي القرمطي عبدان (ت. ٢٨٦هـ/٨٩٩م)^(١٠٤)، ولم يلحظ تامر أنّه نشر الكتاب نفسه عام ١٩٦٤م بعنوان «الإيضاح» لأبي فراس شهاب الدين المينقي (ت. ٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م). وعلى الرغم من أنّ التشابه بين النصين يكاد يكون متطابقا، فإنّ أيّا من الباحثين في الدراسات الإسماعيلية لم ينتبه لذلك، حتى قام بول واكر Paul Walker بكشف أول خيط من الحقيقة^(١٠٥).

٦ - سهو الناسخ في السقط والزيادة: في نسخ المخطوطات، كثيرا ما يسقط الناسخ أو يزيد حرفا أو كلمة أو أحيانا جملة أو سطرا، حتى أصبح مثل ذلك أمرا طبيعيا في نسخ المخطوطات. وفي العادة، يستدرك الناسخ السقط بإعادة كتابة الكلمة الساقطة في أعلى السطر، أما إذا كان السقط جملة أو سطرا، فتكون الكتابة في هامش الكتاب، الأيمن أو الأيسر، أو أعلى الصفحة أو أسفلها، على حسب موقع الجملة أو الفراغ المتاح لذلك. أما إذا كانت الكلمة أو الجملة زائدة، فتُشطب بخط في الوسط^(١٠٦). إلا أنّ الناسخ أحيانا يجتهد خطأ فيسقط كلمة مكررة ولكنها أصيلة في الجملة، مثال ذلك «ولم أقرأ لغيره على هذا التفصيل إلا للجيراني، وهو كان صاحب صاحب الجبال»، وقد أسقط الناسخ كلمة صاحب الثانية لظنه أنها مكررة، والواقع أنّ المؤلف كان

يقصد أنّ الجبراني كان رفيقا لسلطان الجبال عند سفارته إلى الروم^(٥٧). ومثل هذا الخطأ يتكرر عند التعريف برجال الطبقات، كأن يقول المؤلف «شيخ شيخ فلان»، فيقوم الناسخ بكتابة شيخ مرة واحدة، فيهمل بذلك رجال طبقة كاملة. وقد يكرر الناسخ كتابة صفحة كاملة، وفي المقابل قد يسقط صفحة كاملة من الكتاب المخطوط الذي نسخه.

٧ - الحالة السيئة للمخطوطة (التلف والقطع والإصابة): يخضع حفظ المخطوطات وصيانتها إلى قواعد وشروط، ومن دونها تتعرض المخطوطات للتلف. لقد كان السبق واضحا ولموسا من الدول الغربية في حفظ المخطوطات وصيانتها وترميمها، إذ أنشأ المتحف البريطاني على سبيل المثال قسما كبيرا خاصا لمثل هذا العمل. أما في العالم العربي والإسلامي، فقد انتبه القائمون على المكتبات ومراكز المخطوطات إلى أهمية ذلك حديثا، بعد أن طال التلف جزء لا يستهان به من المخطوطات. ويرجع تلف المخطوطات إلى العوامل الآتية: أولا: تعرض المخطوطة إلى الرطوبة حيث تسبب الرطوبة تشوها في شكل المخطوطة وضعفا في خواص الورق، وتهيئ جوا نشيطا للآفات كالحشرات والقوارض، خاصة إذا صاحبت الرطوبة عوامل أخرى كالحرارة والاستعمال الخاطئ من القارئ^(٥٨)، وهذا يؤدي إلى نقل الأوساخ إلى الورق، ومن ثم نمو الفطريات والبكتيريا.

ثانيا: تعرض المخطوطة للضوء الذي يتفاعل فيزيائيا وكيميائيا مع الورق فيسبب اضمحلال الأحبار وإضعاف الورق، كما يساعد الضوء على ارتفاع درجة الحرارة، مما يؤدي إلى فقد المخطوطة لمحتواها المائي فتكون أوراقها عرضة للاصفرار والتكسر^(٥٩)، ويتبين تلف المخطوطة من الأمور الآتية:

- أ - جفاف أو تآكل الأوراق وتقصيف أطراف الصفحات.
- ب - وجود الثقوب وانتشارها على صفحات المخطوطة.
- ج - التصاق الصفحات بعضها ببعض.
- د - بهت بعض الصفحات، كأن يصيبها ماء فيسيل الحبر ماسحا بعض السطور أو الكلمات.

هـ - تقلل الصفحات بسبب تآكل كعب المجلد.

و - تلف الصفحتين الأولى والأخيرة، مما يسبب ضياع اسم المؤلف وعنوان الكتاب، الذي عادة ما يكون في الصفحة الأولى، وضياع اسم الناسخ وتاريخ كتابة المخطوطة، الذي عادة ما يذيل به الكتاب^(٦٠).

لذا عمدت كثير من الدول المتحضرة إلى تصوير مقتنياتها من المخطوطات بطريقة الميكروفيلم والميكروفيش، وذلك لتوفيرها بين يدي الباحثين من ناحية، وحفظها من التلف من ناحية أخرى. أما المخطوطات في اليمن فكانت أقل حظا من ذلك، ولولا قدوم البعثة المصرية لتصوير المخطوطات العربية في بلاد اليمن (١٩٥١ - ١٩٥٢م) ثم بعثة الوثائق والمخطوطات

اشكالية التعامل مع النسخة المريدة عند تدقيق المخطوطات التاريخية

المصرية إلى اليمن (١٩٦٤م) والجهود التي بذلتها مصر في حفظ تلك المخطوطات عن طريق تصويرها، لضاع الكثير منها بين التلف من ناحية والإهمال والنهب من ناحية أخرى^(٣١). وإضافة إلى التلف، تعرضت المخطوطات العربية والإسلامية إلى السرقة من قبل المواطنين المحليين بقدر ما تعرضت للتهريب من تجار الآثار الغربيين. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فعلى الرغم من تضيق الخناق على تهريب وسرقة المخطوطات عن طريق سنّ القوانين والمراقبة الدولية الصارمة ومتابعة لصوص المخطوطات والمهربين، نرى في عصرنا هذا نوعا جديدا من السلب والنهب المنظم. وأكبر دليل على ذلك ما طال المخطوطات والمقتنيات الأثرية في الكويت في أثناء الغزو الفاشم عليها في عام ١٩٩٠م، حيث تظهر تقارير رسمية كتبها خبراء اليونيسكو أنه إلى جانب الدمار الذي طال جزءا كبيرا من المتاحف الرسمية والخاصة ومقتنياتها، فإن الجزء الأكبر منها قد سلب ونهب من دار الآثار الإسلامية ومتحف الكويت الوطني والمكتبة المركزية ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية وقسم التراث في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وقسم المخطوطات بجامعة الكويت. أما المجموعات الخاصة، فكان أندرها وأنفسها مجموعة الشيخ ناصر الصباح ومجموعة السيد يعقوب الحميضي^(٣٢)، وعندما شنت حرب تحرير العراق لم يعرف حتى الآن كم فقد ذلك البلد من نفائس المخطوطات التي كانت توجد في مكتبة المتحف العراقي (١٩٣٣ مخطوطة)، ومكتبة الأوقاف العامة في بغداد (٣٧١٤ مخطوطة). وقد علمنا، من خلال متابعتنا للأحداث، أن الفوضى التي عمت المؤسسات بصورة عامة شجعت على أعمال نهب المخطوطات وسلبها ونهبها. وفي مقابل يد الدمار التي أثلّفت ذلك التراث العلمي القيم، امتدت أيادي البناء متمثلة في وعي المهتمين بالحفاظ على العلم والتاريخ الإسلامي والتراث، حيث أنشئت عدة مراكز جديدة في العالم العربي للمحافظة على المخطوطات، وعمل منشئوها على جمعها وتشجيع اقتنائها، منها في الإمارات العربية المتحدة: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، وفي الكويت: مركز المخطوطات والتراث والوثائق ومتحف طارق رجب الخاص، ومجموعة الأديب المرحوم الأستاذ خالد سعود الزيد^(٣٣).

ولعل ما يثير الإعجاب والتقدير في هذا المجال هو تلك العناية التي أولاها القائمون على الثقافة في الحكومة المغربية، حين أعلن في عام ١٩٦٩م عن «جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق». وتتظم المسابقة لهذه الجائزة كل عام بغرض التعرف إلى المخطوطات التي يمتلكها الأفراد والكشف عنها، ومن ثمّ جمع وشراء المهم منها وصيانتها والحفاظ عليه وتوفيره للباحثين والدارسين من خلال تصويره وحفظه في الخزنة العامة للدولة. ونحن نرى في ذلك استثمارة وتشجيعا لمقتني المخطوطات في إعلان كل ما هو جديد من قديم المخطوطات التي يمتلكونها، فلا يزال الكشف قائما عن مخطوطات لكتب ضائعة وأيضا عن مؤلفين مجهولين.

الخاتمة

لا شك في أنّ التعامل مع النسخة المخطوطة الفريدة من الكتاب عمل مضمّن وشاق، يتحمل فيه الباحث مجهوداً كبيراً ومسؤولية وتبعات أخطاء كثيرة. إلا أنّ المتعة في إنجاز العمل ومن ثم نشره، ليكون مرجعاً للباحثين والدارسين، تعطي المحقق إحساساً بأنّ الوقت الطويل الذي مضى والجهد الجهد الذي انقضى لم يذهب سدى، ليكون بعد ذلك من الرابحين معنوياً، حيث اقترن اسمه تاريخياً بالكتاب كمحقق، ليكون الاسم الثاني بعد المؤلف وقيل الناسخ. إنّ عمل المحقق هو بالفعل عملية بحث وإحياء للتراث العلمي والثقافي من جديد، فإما أن يكون عمله صالحاً جميلاً أو يكون مشوهاً دميماً. وقد وقعت بين أيدينا مخطوطات محققة قبلناها تقبيل المشتاق إليها وإلى قراءتها، وأخرى نكاد نبكي عليها لما لحق بها من تشويه وأذى على أيدي مدعي التحقيق والكتابة. إنّ الباحث ليرتاب فعلاً في الكتاب إذا ارتاب في مقدرة محققه على قراءة النصوص وتحليلها، أو كسله في الرجوع إلى المراجع الضرورية في شرح الكلمات والمعاني التي تحتاج إلى توضيح وبيان، فيضيع العمل الأصلي من جراء إهمال وعدم اكتراث مدعي التحقيق هذا. وثمة مخطوطات يمنية محققة، لا نجد فيها تعليقات أو شروحات أو حتى هوامش، ويزيد الطين بلة خلوها من الفهارس، مما قد يبدو للباحث في المخطوطات اليمينية أن هذا الأسلوب، الذي يشبه أسلوب الكتاتيب المتأخر، إنما هو إحدى مدارس تحقيق المخطوطات في اليمن، وإن كان الأمر غير ذلك تماماً. فاليمن تزخر بالمحققين الكبار، ولكن الوصول إلى المخطوطات أمر مضمّن وشاق، واقتناء صور من تلك المخطوطات يكاد يكون عسيراً. فعلى الرغم من قيام بعض الباحثين بفهرسة مخطوطات الجامع الكبير، بمكتبتيه الشرقية والغربية، ووضع فهراس للمخطوطات في الجامعات والمكتبات الخاصة، فإننا نجد عزوفاً من المحققين والمتخصصين والباحثين عن تحقيق الكم الهائل من الكتب المخطوطة الموجودة في مكتبات اليمن، حيث تزيد نسبة الكتب المخطوطة غير المحققة في مكتبات اليمن على ٦٠٪ من مجمل مقتنياتها. وربما كان هذا العزوف نتيجة لعدة أسباب نجلها فيما يلي:

١ - عدم توافر الجو العلمي الذي يمكن الباحث من قراءة المخطوطات، إذ إنّ المكتبتين الشرقية والغربية في الجامع الكبير تقفلان قبيل أوقات الصلاة وفي أثائها، هذا إضافة إلى عدم التزام أمناء المكتبتين بالدوام الرسمي، حيث يضطر الباحث إلى انتظار أمين المكتبة لفترات طويلة. وقد اضطررت شخصياً إلى انتظار أمين المكتبة ساعات طوالاً صباح ذات يوم حتى قبيل صلاة الظهر، الأمر الذي اضطرني إلى الاسترشاد إلى بيته القريب من المسجد والذهاب إليه هناك، ليصحبني وأصحبه إلى المكتبة.

إشكالية التعامل مع النسخة الفريدة عند تدقيق المخطوطات التاريخية

- ٢ - وضع المخطوطات بأسلوب لا يستطيع معه الباحث معرفة مكان المخطوطة المطلوبة إلا عن طريق أمين المكتبة نفسه، فهو وحده الذي يحفظ أسلوب ترتيبها من ذاكرته، فليس هناك أسلوب واضح للترقيم أو فهراس موضوعات ومؤلفين، أو حتى تصنيف من أي نوع.
- ٣ - ليس هناك وسائل مساعدة على مستوى جيد ومتطور، كآلات سحب وتصوير ورقي أو ميكروفيلمي، وإن كانت هناك آلة تصوير ورقي، إلا أنها قديمة وبحاجة إلى صيانة. وقد قمت شخصياً بدفع مبلغ لصيانتها وشراء الحبر والورق لها. وفوق هذا وذاك، فقد كان التصوير سيئاً لدرجة أنّ كثيراً من الصفحات المصورة كانت غير واضحة أو مقطوعة من ناحية الوسط (مضمومة كعب مجلد الكتاب) أو الأطراف.
- ٤ - لتصوير أي جزء من أي مخطوطة في الجامع الكبير، يحتاج الباحث إلى توقيع الوزير المختص، الذي تقع ضمن مسؤولياته شؤون المكتبة، الأمر الذي يضطر الباحث إلى تمضية وقت طويل لعمل طلب تصوير ومتابعة الإجراءات البيروقراطية الطويلة، حتى يصل طلبه إلى الوزير، وضمن تلك الإجراءات يمر الباحث بعملية ابتزاز من بعض صغار الموظفين، وبذلك لا يتسنى لغير المقتردين مادي الحصول على مطلبهم بالسرعة الممكنة.
- والجددير ذكره أنّ قوائم المخطوطات التي حوتها مكتبات اليمن، كادت تخلو تماماً - وبشكل مثير للريبة والتساؤل - من المخطوطات الإسماعيلية، فليس في تلك القوائم أي مخطوط يعني إسماعيلي، على الرغم من الكتابات الكثيرة لعلماء الإسماعيلية اليمنيين على مر العصور. ويغلب الظن أنّ الإسماعيلية أنفسهم قد صدّروا كتبهم في فترات مختلفة من التاريخ إلى الهند، حيث كانت الدعوة الإسماعيلية أكثر استقراراً وأماناً. فالتراث الإسماعيلي اليمني غني جداً بفنون المعارف التاريخية والدينية والفلسفية، ودليلنا في ذلك ما تحتويه مكتبة الجامعة السيفية في الهند، والتي يشرف عليها سلطان البهرة الداعي المطلق محمد برهان الدين إشرافاً مباشراً. كما أنّ هناك مكتبات خاصة رَحَّلها أصحابها معهم عندما هاجروا من اليمن، مثل: المكتبة المحمدية الهمدانية في مونتريال بكندا، ومكتبة زاهد علي في كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد تبرعت أسرة زاهد علي بمقتنيات المكتبة من المخطوطات والكتب إلى المعهد الإسماعيلي في لندن عام ١٩٩٧م^(١٤). أما مقتنيات المكتبة الهمدانية فكانت ملكاً لمحمد بن علي اليعبري الهمداني، وقد آلت إلى أبنائه ومن ثم إلى أحفاده، ومنهم الباحثان الإسماعيليان الشهيران في مجال الدراسات الإسماعيلية التاريخية حسين فيض الله الهمداني ثم ابنه عباس، الذي يعتبر اليوم مالك هذه المكتبة. وتعتبر المكتبة الهمدانية مصدراً رئيساً لمخطوطات مكتبة الجامعة السيفية. ومن الإشكاليات التي تناقشنا فيها مع مسؤولي الجامعة السيفية والقائمين على مكتبتها، أنّ هذه الجامعة مخصصة فقط لأبناء طائفة «البهرة»^(١٥) دون سواهم، وعليه فلا يستطيع الباحث القادم من خارج الجامعة الاطلاع على أي كتاب من الكتب

في مكتبتها أو قراءته، ووصل الأمر إلى حدّ منع الباحثين من زيارة المكتبة أو حتى الدخول من أبواب الجامعة. وهكذا اعتبرت المخطوطات الإسماعيلية اليمينية المتوافرة، سواء في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن أو في مكتبة الأمبروزيانا في لندن أو في غيرهما من المكتبات الخاصة، مخطوطات فريدة النسخ أمام إيراد باب مكتبة الجامعة السيفية. ويحدونا الأمل على أن يسهم البهرة في تحقيق كنوز المخطوطات الموصد عليها في خزائنها، أو على الأقل، أن يفسحوا للباحثين والمحققين المجال للعمل على تحقيق التراث الإسماعيلي اليميني والكشف عنه من كهوف السرّ والتقيّة. فقد سبقهم في الكشف الجناح الثاني من الإسماعيلية، الإسماعيلية النزارية، وهم أتباع الآغا خان^(٦٦)، فأسسوا معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن الذي حاز التميز والسبق في هذا الميدان. وقد نمت إلى علمنا أنّ البهرة ترجموا بعض محتويات المخطوطات في مكتبة الجامعة السيفية إلى اللغة الكجراتية - لغة البهرة في الهند - واحتفظوا بها في المكتبة.

الهوامش

- 1 مستشرق ألماني متخصص في تاريخ وفلسفة الفرق الإسلامية، والزيدية بشكل خاص، له عدة كتب وكثير من المقالات في هذا المجال نشرت في موسوعة الإسلام Encyclopaedia of Islam وسلسلة Der Islam، المجلة العلمية الألمانية التي تعنى بالدراسات الإسلامية، وأخيرا، تخصص في الدراسات الإسماعيلية، فساهم في سلسلة من الكتابات والندوات والمحاضرات، يعتبر ماديلونج من المستشرقين المنصفين، وتعتبر دراساته من أعمق وأدق الدراسات الغربية في الفرق الإسلامية. لمزيد من التفاصيل انظر: العبدالجادر: الإسماعيليون/كشف الأسرار ونقد الأفكار، ٨٨.
- 2 انظر الملحق رقم ١.
- 3 أبو القاسم إسماعيل بن أحمد البستي (ت. ٤٢٠ هـ/١٠٢٩م)، من علماء الزيدية ومكلمي المعتزلة، وأحد تلاميذ القاضي المعتزلي عبد الجبار بن أحمد الهمداني. ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج١، صحيفة ٢٣٦ (مخطوط رقم ١١١ - تاريخ، الجامع الكبير - صنعاء). العبدالجادر: المرجع السابق، ١٢٣.
- 4 Stern, Exposure of Secrets of the Batiniyya and the Destruction of their Doctrine, JRAS, 1961, pp. 14-35.
- 5 العبدالجادر: المرجع السابق، ١١٨.
- 6 من أهم هذه المراكز في العالم العربي على سبيل المثال لا الحصر: معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ودار الكتب القومية بالقاهرة ومكتبة الأسد الوطنية والمكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة الجامع الكبير بصنعاء، أما مراكز المخطوطات العربية في العالم فأهمها مكتبة الفاتيكان والمتحف البريطاني وشمسريتتي والأوسكريال والأمبروزيانا. كما تعتبر تركيا موقعا لكتوز مدفونة من المخطوطات العربية، وأهم المراكز فيها: المكتبة السلمانية ومكتبة الجامعة باسطنبول.
- 7 الطباع: قواعد تحقيق المخطوطات، بحث منشور ضمن الدورة التدريبية الدولية الأولى «صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد»، ٤٤٥ - ٤٥٩.
- 8 لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع، انظر: عبدالسلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، المرعشلي: أصول كتابة البحث العلمي ونشر المخطوطات، ٧٦. محمد بن صالح ناصر: منهج البحث وتحقيق النصوص، ٧٣. الطباع: منهج تحقيق المخطوطات، ٤١. الشريف: ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية، ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، ١٠٢ - ١٠٣. الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص، ٢٥. ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة م. المقداد، ٣١.
- 9 انظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين، مقدمة الناشر.
- 10 هناك أكثر من طريقة معروفة لإتلاف الكتب وهي: الحرق، الدفن، الغسل بالماء أو الإغراق، التقطيع أو التخريق، لمزيد من التفاصيل، انظر: الحزيمي: حرق الكتب في التراث العربي، ٢٧.
- 11 تاريخ الطبري: ج٩، ٣٤٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ٢٢٠. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ٤٣٠.
- 12 انظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري: ج٩، ٢٣٩. عبدالرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ٣٦ - ٣٧.
- 13 ابن النديم: الفهرست، ٢٥٨ و٣٦٨.
- 14 ورد في تاريخ الطبري في أحداث سنة ١٦٦ هـ مايلي:
قال: فبُعث وعندهما رجل، فقالا لي: هذا غلام الفمر بن يزيد، وقد أصبنا معه كتاب الدولة. قال: ففتحت الكتاب، فظهرت فيه إلى سني المهدي، فإذا هي عشر سنين. قال: فقلت ما في الأرض أعجب منكم أن تريان أنْ خبر هذا الغلام يخفى، وأن هذا الكتاب يستتر؟ قال: كلا. قلت: فإذا كان أمير المؤمنين قد نقص من

سنيه ما نقص، أستم أول من نعى إليه نفسه؟ قال: فتبليدا والله وسقط في أيديهما، فقالا: فما الحيلة؟ قلت: يا غلام علي بعبسة، يعني الوراق الأعرابي مولى آل بديل، فأتى به، فقلت: خط مثل هذا الخط، وورقة مثل هذه الورقة، وصير مكان «عشر سنين» «أربعين سنة» وصيرها في الورقة. قال: فوالله لولا أنني رأيت العشر في تلك والأربعين في هذه ما شككت أن الخط ذلك الخط وأن الورقة تلك الورقة.

15 ابن النديم: الفهرست، ٢٥٧. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج٧، ٢١٢، ٢٢٩، و١١، ١٩٤ الأزدي: كتاب المتوارين، تحقيق م. سلمان، ٤٠.

16 يحكى أن الماوردي لم يظهر أيًا من تصانيفه في أيام حياته، وإنما أوصى بأن تنشر بعد وفاته. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ٢٨٢.

17 قارن: الحزيمي: حرق الكتب في التراث العربي، ١٧.

18 رشيد الخيون: معتزلة البصرة وبغداد، ٨٥، ١٠٦، ١٢٧، ٢٣٩.

19 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٠، ٧.

20 المقرئزي: اتماظ الحنفا، ج٢، ٢٩٤ - ٢٩٥، ج٢، ٣٢١ والخطوط، ج١، ٤٠٨ - ٤٠٩.

21 القفطي: إنباء الرواة، ج١، ٢٨٢.

22 ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ٢٠٠. ويحدثنا أيمن فؤاد سيد عن احتراق مكتبة عامرة بالمخطوطات يملكها محمد حيدر التهامي في اليمن أثناء الحرب التي دارت بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز. أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ٤٨.

23 المقرئزي: الخطوط، ج٢، ٢٧٧.

24 انظر: المقرئزي: الخطوط، ج١، ٦٠، ج٢، ٢١٢، ٢٧٦. الحرشي: غريال الزمان، ٢١٩، ٢٩٣، ٥٣٠.

25 المرجع السابق. ذكرت الأستاذة الدكتورة كارول هيلينيراند، نائب رئيس تحرير موسوعة الإسلام والحائزة جائزة الملك فيصل في الدراسات الإسلامية لعام ٢٠٠٤، في حديث شخصي علمي أن الغرب عندما نقل كميات من الكتب المخطوطة إلى مكتباته، أفاد التراث الإسلامي بصورة غير مقصودة، حيث حفظت تلك المخطوطات بعيدة عن مسببات التلف، فأصبحت حاليا في متناول أيدي الباحثين.

26 Walker, Early Philosophical Shiism, 191.

27 Stern, Studies in Early Ismailism, 307.

28 البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ١١٧.

29 في بعض المخطوطات البينية صادفتنا كلمة «الهُوى» والصحيح «الهواء، انظر على سبيل المثال: البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ٦. العبدالجادر: الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار، ٢٢٤.

30 المرجع السابق: ٢٢٢.

31 انظر: الملحق رقم ٢ من كتاب يحيى بن حمزة: التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتقسيق، الصحيفة ٢٢.

32 على سبيل المثال: أمضيت ساعات طويلا لكي أتعرف إلى ماهية هذا الرسم (لنسى مصد) فقراته: لتبيين مصدر - لتبيين مصدر - لتستبين مصدر - لتبين قصد - لتبين قصد - وهكذا مضت الساعات والمحاولات تتكرر لوضع الكلمتين ضمن سياق الجملة، حتى وصلت إلى فتاعة ورضا بأن الكلمتين هما: «ليست قصد». البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ١١٢.

33 ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ٢١٠.

- 34 ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ٢٤٧ .
- 35 المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دي خويه، ٩٣ .
- 36 في الفرق بين الورق والقراطيس، انظر: ابن النديم: الفهرست، ٢١ . شاكور مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ٧٠ .
- 37 انظر على سبيل المثال: في حساب الجمل: رسائل إخوان الصفا، تحقيق عارف تامر، الرسالة الأولى من القسم الرياضي في العدد، ج ١، ٨٢ - ٩٢ . وفي خط المسند الحميري، انظر: جعفر بن منصور اليماني: الكشف، تحقيق م. غالب، ١٧، ٦٧، ٧٣، ٨٦، ٨٨، ١١٥ - ١١٦ . الحامدي: الشمس الزاهرة، ١٦٠ .
- قارن: القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، تحقيق محمد اليعلاوي وآخرين، ٥٠٠ . غالب: الحركات الباطنية في الإسلام، ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- 38 جعفر بن منصور اليماني: المرجع السابق.
- 39 أبو يعقوب إسحق بن أحمد السجستاني (ت. ما بين ٣٩٦ و٣٩٩/هـ ٩٩٦ و١٠٠٢م) أحد أعمدة الفكر الإسماعيلي، ومن أكبر دعاة الإسماعيلية في الشرق. العبد الجادر: الإسماعيليون - كشف الأسرار وتقد الأفكار، ١٥٢ - Paul Walker, Abu Ya'qub al-Sijistani and the Wellspring of Wisdom, 15 & Early Phil-osophical Shiism, 16 .
- 40 السجستاني: الافتخار، ٤٨ .
- 41 جعفر بن منصور اليماني: الرضاع الباطن، ١٢٨ .
- 42 الكرمانلي: راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، ٢٥٦ . الحامدي: كثر الولد، تحقيق مصطفى غالب، ٢١٦ .
- 43 نشرت المكتبة الحديثة للطباعة والنشر كتيباً مصوراً بعنوان «كتاب الجفر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام»، نلشك في نسبته شكلاً ومضموناً. لمزيد من التفاصيل عن «الجفر» انظر: العبد الجادر: الإسماعيليون - الدعوة والدولة في اليمن، هامش ١١٠ - ١١٢ .
- 44 انظر كحالة: معجم المؤلفين، ج ٢، ٢٥٩ - ٨، ج ١٧٤ - ٢٢٨ و ج ١٢، ٧٩ - ١٣، ج ٩٨، ٤٠٧ .
- 45 محمد بن إسحق بن يسار المطلب بالولاء، محدث وإخباري. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ٢٧٦ . كحالة: معجم المؤلفين، ج ٩، ٤٤ .
- 46 عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ١٧٧ . كحالة: معجم المؤلفين، ج ٦، ١٩٢ .
- 47 انظر: ابن النديم: الفهرست، ١٣٦ . ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ٤٥ .
- 48 حقق الكتاب محمد بن عبدالله زريان الغامدي ونال عليه درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- 49 مخطوط رقم ٢٣٩ - علم كلام، المكتبة المتوكلية (مجاميع ٤٢) - الجامع الكبير، صنعاء.
- 50 مخطوط رقم ٢١ - علم كلام، مكتبة حسين السباغي (خاصة)، صنعاء. قارن: أحمد محمود صبحي: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة، ٢٣ .
- 51 مخطوط رقم ٥٨٧ - ضمن مجموعة غايات الأفكار، المسجد الكبير، صنعاء.
- 52 البستاني: من كشف أسرار الباطنية، ص ٢٤ب.
- 53 أبو حنيفة النعمان المغربي: دعائم الإسلام (٩)، تحقيق محمد عبدالغفار، مكتبة مدبولي، القاهرة (بدون تاريخ).

- 54 أبو محمد عبدان بن الربيع الأهوازي، داعي الإسماعيلية في العراق، وهو صهر حمدان قرمط وثاني أكبر داعية قرمطي. Poonawala, Biobibliography, 31.
- 55 Paul Walker, Abu Tammam and his Kitab al-Shajara, JAOS, 114, 1994, 343-52.
- الإسماعيليون - كشف الأسرار ونقد الأفكار، ١٠٦ .
- 56 هكذا: تشملب الكلمة أو الجملة بخمط في الوسط.
- 57 انظر: البستي: من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، الصحيفة ١٢٥.
- 58 أقصد بالاستعمال الخاطئ مثل الأكل والشرب أو التدخين عند قراءة المخطوطة، وثي الصفحات وإضافة علامات كملاحظات أو للدلالة على مكان التوقف بالقراءة.
- 59 بسام داغستاني: قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، ٦١١ - ٦١٧ .
- 60 نفسه.
- 61 أيمن فؤاد سيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ٤١٩ - ٤٢٩ .
- 62 العنيزي: العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية في الكويت، ٤٣، ٥١ - ٥٩ .
- 63 لمزيد من التفاصيل عن المجموعات الخاصة، انظر: خالد الريان: أهم المجموعات الخطية، ضمن صناعة المخطوط العربي الإسلامي، ٥١٥ .
- 64 انظر: Cortese, Arabic Ismaili Manuscripts-The Zahid Ali Collection.
- 65 البهرة: أتباع الدعوة الإسماعيلية الطيبية، نسبة إلى الطيب بن الأمر بأحكام الله بن المستعلي بالله بن المستنصر بالله الفاطمي. وترجع هذه التسمية إلى أصل الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها أتباع الدعوة من الهند وهي طبقة «الفوهر» - Vohara، ويرجع بعض الباحثين هذه التسمية إلى الأصل اللغوي للكلمة الججراتية (تاجر) «فهورو» - Vohorvu، لأنَّ جُلَّ أتباع الدعوة في الهند كانوا من الحرفيين والبائعين البسطاء. انظر في أصل كلمة «بهرة»: الجامعة السيفية: لمحة عن الدعوة الفاطمية، ٢٥ - ٢٦ . قارن: Daftary, The Ismailis, 562.
- 66 الإسماعيلية النزارية (الأغاخانية): يرجع مسمى النزارية إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمي (ت. ٤٨٨هـ/١٠٩٤م)، وهم يعتقدون أنَّ المستنصر بالله أوصى إلى نزار بالخلافة من بعده، ولكن نزاراً قد حجب عنها لتكون لأخيه الأصغر المستعلي بالله بتدبير من الوزير المتنفذ الأفضل بن بدر الدين الجمالي (ت. ٥١٥هـ/١١٢١م)، الذي قرأ على الدعاة سجلاً مزوراً يقضي بتعيين المستعلي بالله خليفة. وبعد موت نزار قاد الحسن بن الصباح (ت. ٥١٨هـ/١١٢٤م) الثورة ضد النظام الفاطمي، واتخذ من قلعة الموت في إيران عاصمة له. وقد حافظ الحسن الصباح على سلسلة الإمامة من ذرية نزار عندما ستر أحد أحفاد نزار في الموت. واستمرت سلسلة الأئمة النزارية إلى اليوم متمثلة في الأغا خان الرابع الإمام الحاضر كريم بن علي بن محمد بن أغا علي بن حسن علي (الأغا خان الأول - ت. ١٨٨١م).

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

- ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح: مطلع البدر جمع البحور، مخطوط رقم ١١١ - تاريخ، الجامع الكبير، صنعاء. [صورة لدى كاتب المقال] البستي، إسماعيل بن أحمد.
- ١ - البحث عن أدلة التكفير والتفسيق، مخطوط رقم ٢٢٩ - علم كلام، المكتبة المتوكلية (مجاميع ٤٢) - الجامع الكبير، صنعاء. [صورة لدى كاتب المقال].
- ٢ - من كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم، مجموعة جرفيني، رقم ٤١، مكتبة الأمبروزيانا، ميلانو [صورة لدى كاتب المقال].
- الحامدي، حاتم بن إبراهيم بن الحسين: الشمس الزاهرة والأنوار المضئية الباهرة [صورة لدى كاتب المقال].

- جعفر بن منصور الهمس: الرضاع الباطن [صورة لدى كاتب المقال].
- المرتضى: أحمد بن يحيى: التحقيق في الإكفار والتفسيق، مخطوط رقم ٥٨٧ - ضمن مجموعة غايات الأفكار، المسجد الكبير، صنعاء [صورة لدى كاتب المقال].
- يحيى بن حمزة: التحقيق في تقرير أدلة الإكفار والتفسيق، مخطوط رقم ٢١ - علم كلام، مكتبة حسين السياغي (خاصة)، صنعاء [صورة لدى كاتب المقال].

ثانياً: المصادر والمراجع العربية

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد: الكامل في التاريخ، تحقيق تورنبرج، ليدن ١٨٦٢م.
- الأزدي، عبدالغني بن سعيد: كتاب المتوارين، تحقيق م. سلمان، بيروت ١٩٨٩م.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين، تحقيق ريتو، ط٢، فسادان ١٩٨٠م.
- بنوي، عبدالرحمن: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط٢، القاهرة ١٩٩٢م.
- التميمي، [القاضي] النعمان بن محمد بن حيون:
- ١ - تأويل الدعائم، تحقيق محمد حسن الأعظمي، القاهرة ١٩٦٨م.
- ٢ - دعائم الإسلام، تحقيق أصف علي أصغر هيضي، القاهرة ١٩٥٢م.
- ٣ - المجالس والمساربات، تحقيق محمد البعلاوي وآخرين، تونس ١٩٧٨م.
- الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، بيروت ١٩٩٢م.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد ١٣٥٩هـ.
- الحامدي، إبراهيم بن أبي بكر بن محمد العامري: غريال الزمان، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٧٢م.
- الحرشي، يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري: غريال الزمان، تحقيق محمد ناجي زعبي العمر، دمشق ١٩٨٥م.
- الحزيمي، ناصر: حرق الكتب في التراث العربي، كولونيا ٢٠٠٢م.
- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ دولة الإسلام، ط٢، القاهرة ١٩٨٠م.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، تحقيق ف. وستينفيلد، ط٢، لبيزج ١٩٧٧م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفیات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٢م.
- داغستاني، بسام: قواعد ترميم القطوع والتلفيات في أوراق المخطوطات، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، دبي ١٩٩٧م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرنؤوط وآخرين، بيروت ١٩٨١م.
- الخيون، رشيد: معتزلة البصرة وبغداد، ط٢، لندن ٢٠٠٠م.

الريان، خالد: أهم المجموعات الخطية، ضمن: الدورة التدريبية الدولية الأولى لصناعة المخطوط العربي الإسلامي، دبي ١٩٩٧م.

ريجيس بلاشير وجان سوفاجيه: قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة م. المقداد، دمشق ١٩٨٨م.

السجستاني، إسحق بن أحمد: الاختصار، تحقيق عارف تامر، بيروت ١٩٨٠م.

سيد، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة ١٩٧٤م.

الشريف، خيرالله: ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية، ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، دمشق ٢٠٠٢م.

صبيح، أحمد محمود: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة، صنعاء ١٩٩٠م.

الطباع، إياد خالد:

١ - قواعد تحقيق المخطوطات، بحث منشور ضمن الدورة التدريبية الدولية الأولى «صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد»، دبي ١٩٩٧م.

٢ - منهج تحقيق المخطوطات، ط٢، دمشق ٢٠٠٥م.

الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق دي خويه، ليدن ١٨٧٩م.

العبدالجادر، عادل سالم:

١ - الإسماعيليون - الدعوة والدولة في اليمن، الكويت ٢٠٠٠م.

٢ - الإسماعيليون - كشف الأسرار وتقد الأفكار، الكويت ٢٠٠٢م.

ابن العماد الحنبلي، عبدالحى بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت (بدون تاريخ).

النعنيزي، سليمان عبدالله: العدوان العراقي على المؤسسات العلمية والتربوية والثقافية في الكويت، الكويت ١٩٩٣م.

غالب، مصطفى: الحركات الباطنية في الإسلام، بيروت ١٩٨٢م.

القفطي، علي بن يوسف: إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٥م. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، بيروت ١٩٥٧م.

الكرماني، حميد الدين أحمد بن عبدالله: راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٨٢م.

المرعشلي، يوسف: أصول كتابة البحث العلمي ونشر المخطوطات، بيروت ٢٠٠٣م.

مصطفى، شاك: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت ١٩٧٨م.

المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي خويه، ليدن ١٩٠٩م.

المقريزي، أحمد بن علي:

١ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الشيال وآخرين، القاهرة ١٩٧٣م.

٢ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أوفست، بولاق ١٨٥٣م.

ابن منصور اليمن، جعفر بن الحسن بن حوشب: الكشف، تحقيق مصطفى غالب، بيروت ١٩٨٤م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت ١٣٠٠هـ.

المقني، شهاب الدين بن نصر: الإيضاح، تحقيق عارف تامر، بيروت ١٩٦٥م.

ناصر، محمد بن صالح: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط٢، مسقط ١٩٩٨م.

ابن النديم، محمد بن إسحق: الفهرست، تحقيق رضا تجدد، بيروت ١٩٧١م.

هارون، عبدالسلام: تحقيق النصوص ونشرها، ط7، القاهرة 1998م.

المراجع الأجنبية

- Cortese, Delia, Arabic Ismaili Manuscripts-The Zahid Ali Collection, London, 2003.
- Encyclopaedia of Islam, ed. H. A. R. Gibb et al. New edition, Lieden-London, 1960.
- Poonawala, Ismail K., Biobibliography of Ismaili Literature, Malibu, 1977.
- Stern, S. Studies in Early Ismailism, Leiden, 1983.
- Stern, S. Exposure of Secrets of the Batiniyya and the Destruction of their Doctrine, JRAS, 1961.
- Walker, Paul, Early Philosophical Shiism, Cambridge, 1993.
- Walker, Paul, Abu Ya'qub al-Sijistani and the Wellspring of Wisdom, New York, 1996.
- Walker, Paul, Abu Tammam and his Kitab al-Shajara, JAOS, 114, 1994.